ان شوقي ذهب الى أبعد من ذلك ، فعمد ابان وجوده في المنفى الى التوحيد بين ذاته وبين موسى ، جاعلا مصر مقام أم موسى(١١).

من هذه الامثلة وغيرها يتضح ان الادب العربي الحديث في مرحلته الباكرة لا يتكشف عن صورة مناوئة لليهود(١٢). لكن هذا الادب بدوره ، مع زوال التشديد على الهوية الدينية لليهود أنفسهم وانغماسها التدريجي في خضم الصهيونية ، سرعان ما أخذ في تطوير صورة جديدة لليهود ، تقوم على انتقادهم بشدة والارتياب بأمرهم ، ليس بصفتهم ينتمون الى ديانة ، بل في كونهم دعاة يروجون لارتكاب ظلم سياسي .

ومما تجدر ملاحظته ان الشخصيات اليهودية غير الصهيونية في رواية آرثر كوستلر « لصوص في الليل » (١٩٤٦) تقدم صورة لا تختلف كثيرا عن النقطة الواردة أعلاه . فالرواية ، مثلا ، ترسم صورة لاحد اليهود الارثوذكسيين بفلسطين جاعلة اياه يقول ما يلي : « على أيام الاتراك القديمة كان بضعة الاف من اليهود في البلاد ينعمون بالتساهل من جانب المسلمين ، فيما عدا بعض الحوادث الطفيفة من حين الى اخر ، وهي غير جديرة بالذكر . أما الان ، ولدى مجيء الصهيونيين ومجاهرتهم بدولة عبرية ، فقد صار العرب يناصبونهم العداء »(١٣). ويمكن قول الشيء ذاته عن شخصية أخرى تقدمها رواية كوستلر لاستاذ في الجامعة العبرية ، اذ يشعر هذا الاستاذ انه لولا وجود المتطرفين على الجانبين ، « لاستطاع كل من العرب واليهود ان يعيشوا سعداء جنبا الى جنب ، كما عاشوا منذ ألف سنة في اسبانيا » ثم يرد الكلام التالي على لسان الاستاذ : « المتعصبون الشبان عندنا يريدون اكثرية يهودية . ما هذا الكلام ؟ استفزاز . ما هي الاعداد ؟ ما هي الكميات ؟ الروح هي التي تدخل في الحساب . يجب علينا الدخول بروح المودة والتفاهم على اصدقائنا العرب . فاليهود يمقتون العنف . انها رسالتنا التاريخية »(١٤).

والموضوع الثالث الذي جرى التشديد عليه باستمرار هو الحرمة الدينية لمدينة القدس . هذا النوع من الاستهواء يستمد دعامته من مكانة القدس المحورية في التفكير الديني الاسلامي . بينما لا يسمح المجال هنا سوى ببعض التلميحات القصيرة . فالقدس تمثل تاريخيا « اولى القبلتين » ، أي المكان الاول الذي اتجهت صوبه انظار المسلمين الاوائل ابان تأدية الصلاة . وهي تمثل ، بنظر المسلم المؤمن عن حق ، تلك البقعة المقدسة التي زارها النبي محمد في ليلة اسرائه وانطلق منها في صعوده الى السماء . ونتيجة لذلك لا يتقدم عليها في مجال التقديس سوى توأم مكة والمدينة (القدس هي ثالث الحرمين) . كما يجري اعتبارها ، فضلا عن ذلك كله ، بمثابة « عرصة القيامة » ومشهد يوم الدينونة(١٥). ان الشاعر العربي ، في تناوله لبعض من هذه الموضوعات ، غالبا ما يلمح الى الصليبيين لكي يوحي بأن الغرب يسير على طريق مماثلة في اللقاء الجديد مع الشرق العربي الاسلامي ، ومن هنا كان الاستحضار الحتمي لشخص صلاح الدين ، الذي انتصر على الصليبيين عام ١١٨٧ . لقد جيء على ذكر هذا البطل المعظم قبل ظهور النزاع الفلسطيني ، لكن التواتر الذي يستحضر به اسمه جعل من صلاح الدين موضوعا أدبيا بارزا عبر استمرار الادباء العرب في تصوير المأزق الحاضر وفي تفتيشهم عن منقذ جديد أو حل للازمة(١٦).

رابعا ، وبالاضافة الى هذه الموضوعات الخارجية ، جرى التعريض مرارا وتكرارا بمختلف العلات والامراض الداخلية التي تراوحت بين أنانية الملاكين في بيع أراضيهم من العدو وبين الانقسام الذي أعاق الكثير من مسيرة المقاومة العربية . فالشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان (١٩٠٥ ــ ١٩٤١) كرس العديد من قصائده لهذه الموضوعات ، وأجرى في بعض تلك القصائد مقارنة بين المنجزات التي حققها